موجز في تفسير سورة الماعون

طعام المسكين وديعةُ الله عند الموسِرين

إعداد: سليمان بيضون

*** السورة السابعة بعد المائة في ترتيب سوَر المُصحف الشريف، نزلت بعد «التكاثر».**

*** سُمّيت بـ«الماعون» لورود هذا الاسم في الآية الأخيرة منها، في قوله تعالى: ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾.**

*** آياتها سبع، وهي مكّية. وقيل إنّ السورة نزلت في «أبي سفيان» الذي كان ينحر في اليوم اثنين من الإبل ويُطعم أصحابه، ولكنّ يتيماً جاءه يوماً يطلب منه شيئاً فضربه بعصاه وطرده.**

تذكر السورة بشكلّ عام خمسة عناوين من صفات مُنكري القيامة وأعمالهم: التكذيب بالدّين، والغِلظة على اليتيم، والتغافل عن إطعام المساكين، والسهو عن الصلاة، والرياء في الأعمال.

والسورة، بعدُ، تتضمّن وعيداً لمن انتحل الدّين، وهو متخلّقٌ بأخلاق المنافقين، كالسّهو عن الصلاة، والرياء، ومنْع الماعون، ممّا لا يلائم التصديق بالجزاء.

(انظر: الطباطبائي، تفسير الميزان؛ الشيرازي، تفسير الأمثل)

كتاب الله الناطق

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾.

* أمير المؤمنين عليه السلام: «**ليس عملٌ أحبَّ إلى الله عزّ وجلّ من الصلاة، فلا يشغلنّكم عن أوقاتها شيءٌ من أمور الدنيا، فإنّ اللهَ عزّ وجلّ ذمّ أقواماً، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾، يعني أنّهم غافلون استهانوا بأوقاتها**».

* الإمام الصادق عليه السلام في معنى السّهو عن الصلاة في الآية: «**تأخير الصلاة عن أوّل وقتِها لِغير عُذر**».

قوله تعالى: ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾.

في معنى «الماعون»، ورد:

* عن النبيّ صلّى الله عليه وآله أنه: «**ما تَعاون الناس بينهم: الفأس، والقِدر، والدّلو، وأشباهه**». و«تَعاون» هنا بمعنى تداوله الناس في ما بينهم.

* وعن الإمام الصادق عليه السلام: «..**هو القرضُ يُقرضه، والمعروفُ يصنعه، ومتاعُ البيت يُعيره، ومنه الزكاة..**».

* عن النبيّ صلّى الله عليه وآله: «**منْ منعَ الماعون جارَه منعَه اللهُ خيرَه يوم القيامة...**».

فضل قراءة سورة الماعون

* عن النبيّ صلّى الله عليه وآله، أنّه قال: «**مَن قرأ هذه السورة، غفرَ اللهُ له ما دامتِ الزكاةُ مؤدّاة...**».

* وعنه صلّى الله عليه وآله: «**مَن قرأَها بعد عشاء الآخرة، غفر اللهُ له، وحفِظَه إلى صلاة الصبح**».

* عن الإمام الصادق عليه السلام: «**مَن قرأها بعد صلاة العَصر، كان في أمان الله وحِفظه إلى وقته في اليوم الثاني**».

لطائف التعبير في سورة الماعون

* **طعام أو إطعام:** الإنسان الذي عبّر عنه القرآن الكريم في سورة الماعون بـ«المسكين»؛ قد انتهى به الفقر إلى درجة أنّه أسكنه عن الحركة، وقد قرّر الله له في أموال الناس حقّاً معلوماً، لذا فقد قال عزّ وجلّ: ﴿عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾، ولم يقل: «على إطعام المسكين» ليعرّفنا أنّ هذا الطعام هو طعامه، قد ملّكه الله إيّاه، فهو دَينٌ له عندنا، فإذا أخذه فإنّه قد أخذ ماله، ولم يأخذ مال أحد من الناس.

ولو أنّه عبّر بـ«إطعام» لم يدلّ ذلك على أنّ الطعام له، فلعلّ الطعام للناس، ونحن نطلب منهم أن يبذلوه له، على سبيل الهدية أو الصدقة الحسنة منهم، انطلاقاً من كرم أخلاقهم!! وإذا كان هذا الطعام ملكاً للمسكين، فلا يحقّ لأحد أن يَمنّ به عليه، ولا حتّى أن ينتظر منه الجزاء، أو الشكر عليه، فهل يصحّ الامتنان على الإنسان بما هو له؟!

* **ساهون عن صلاتهم أم في صلاتهم:** يلاحظ أنّه تعالى قد قال: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ﴾ ولم يقل: «في صلاتهم»، لأنّ الإنسان قد يسهو في صلاته: الكبير والصغير، والعالم والجاهل، والمرأة والرجل. لكنّ هؤلاء يدخلون في صلاتهم قاصدين للتقرّب بها، ثمّ يعرض لهم سهوٌ في بعض أجزائها. إلّا أنّ السهو عن أصل الصلاة، حتّى كأنّه لا يفطن لوجودها من الأساس، رغم أنّه يمارس حركاتها؛ يبقى هو الأخطر، والأسوأ والأدهى.

هذا، وقد قال سبحانه: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ﴾ بصيغة اسم الفاعل، ولم يقل: «للذين يصلّون» بصيغة الفعل الذي يدلّ على الحدوث والتجدّد، ولعلّه ليشير إلى أنّهم ثابتون في هذا الاتّجاه، فإنّ صلاتهم وإن كانت مستمرّة ولكنّ سهوهم عن الصلاة أيضاً مستمرّ -سهوهم عنها لا سهوهم فيها- كما أشرنا إليه.

وقد يحدث للإنسان في بعض المناسبات أن يسهو عن بعض شأنه، لانشغال باله بأمرٍ عارض، ولكن أن يستمرّ على هذا السهو فهو مصلٍّ دائماً، وساهٍ عن صلاته دائماً. فذلك يمثّل الغاية في سوء التوفيق، ويعبّر عن مدى خِذلان الله له، وبعده عنه.

ثمّ إنّه تعالى لم يقل: عن «صلواتهم»، بصيغة الجمع، بل قال: ﴿عَن صَلَاتِهِمۡ﴾، ربما ليشير إلى أنّ الغفلة إنّما هي عن حقيقة الصلاة وطبيعتها، وليس عن أفرادها. والسهو عن الطبيعة والحقيقة، يستبطن السهو عن الأفراد؛ لأنّ الحقيقة تدلّ على أفرادها، وتتطابق معها على صعيد التجسّد الخارجيّ.

وربطُ السّهو بطبيعةِ الصلاة يُعطي: أنّ القضية ليست قضيةَ سهوٍ ربّما جاء صدفةً في موردٍ معيّن، وفي زمان معين، فإنّ سهواً كهذا ليس خطيراً إلى درجة أن يعبّر عن أنّ طبيعة هذا الساهي لا تنسجم مع الصلاة، ولا تتفاعل معها، لعدم وجود سِنخيّة وملائمة بين طبيعته وحالاته، وبين الصلاة.

(السيد جعفر مرتضى العاملي، تفسير سورة الماعون)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِي يَدُعُّ ٱلۡيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ﴿٧﴾

معاني مفردات السورة

الدِّين: الجزاءُ يومَ الجزاء، فالمكذّب بالدّين منكرُ المعاد.

الدَّعّ: هو الردّ بعنف وجفاء. **الحضّ:** الترغيب.

ساهون: غافلون لا يهتمّون بصلاتهم، ولا يبالون أن تفوتهم بالكلّية، أو بعض الأوقات، أو تتأخّر عن وقت فضيلتها.

يُراؤون: يأتون بالعبادات رياءً، فهم يعملون للناس، لا لله تعالى.

الماعون: كل ما يُعين الغير في رفع حاجةٍ من حوائج الحياة.

قصة أصحاب السبت

تأريخ التحايل على الحكم الشرعي

المرجع الديني الشيخ ناصر مكارم الشيرازي

يتضمّن القرآن الكريم، في حوالى خمسين سورة منه، حملات قارعة على اليهود بسبب انحرافهم الديني والأخلاقي، ومكائدهم ضدّ الدعوة الإسلامية وصاحبها صلّى الله عليه وآله وسلّم، وإنكارهم أو كتْمهم ما عندهم من بشائر، وما يعرفون من حقائق.

ومن المواقف التي أخبر بها الوحي عن تاريخهم البعيد قصّة «أصحاب السبت» وما حلّ بهم من النقمة نتيجة تحايلهم على الشريعة، وذلك في سورة الأعراف، الآيات (١٦٣-١٦٦).

المقالة أدناه، هي مختصر لما جاء في تفسير هذه الآيات، في الجزء الخامس من «التفسير الأمثل» للمرجع الديني الشيخ ناصر مكارم الشيرازي.

كانت جماعة من بني إسرائيل تعيش على ساحل أحد البحار، والظاهر أنّه ساحل البحر الأحمر المجاور لفلسطين، في ميناء يسمّى «أيله»، والذي يسمّى الآن بميناء «إيلات»، وقد أمرهم الله سبحانه وتعالى، على سبيل الاختبار والامتحان، أن يعطّلوا صيد الأسماك في يوم السبت، ولكنّهم خالفوا هذا التعليم، فأصيبوا بعقوبة موجعة ومؤلمة، نقرأ شرحها في القرآن الكريم.

في البداية يقول سبحانه مخاطباً رسولَ الله صلّى الله عليه وآله:

* ﴿..وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ..﴾: أي اسأل يهودَ عصرك عن قضيّة القرية التي كانت تعيش على ساحل البحر.

* ﴿..إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ..﴾: وذكّرهم كيف أنّهم تجاوزوا -في يوم السبت- القانونَ الإلهيّ. لأنّ يوم السبت كان يوم عطلتهم، وكان عليهم أن يكفّوا فيه عن الكسب وعن صيد السمك ويشتغلوا بالعبادة، لكنّهم تجاهلوا الأمر.

ثمّ يشرح القرآن «**العدوان**» المذكور بالعبارة التالية:

* ﴿..إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا..﴾: فالأسماك كنت تظهر على سطح الماء في يوم السبت، بينما كانت تختفي في غيره من الأيام. ومن البديهي أنّ صيد الأسماك يشكّل لدى سكَنة ساحل البحر مورد كسْبهم وتغذيتهم، وكأنّ الأسماك بسبب تعطيل عمليّة الصيد في يوم السبت صارت تحسّ بنوع من الأمن من ناحية الصيّادين، فكانت تظهر على سطح الماء أفواجاً أفواجاً، بينما كانت تتوغّل بعيداً في البحر في الأيّام الأخرى التي يخرج فيها الصيّادون للصيد.

إنّ هذا الموضوع سواء كان له جانب طبيعي عادي، أم كان له جانب استثنائي وإلهي، كان وسيلةً لامتحان هذه الجماعة واختبارها، لهذا يقول القرآن الكريم: وهكذا اختبرناهم بشيء يخالفونه ويعصون الأمر فيه: ﴿..كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾.

عندما واجهت هذه الجماعة من بني إسرائيل هذا الامتحان الكبير المتداخل مع حياتهم تداخلاً كاملاً، انقسموا إلى ثلاث فرق:

الفرقة الأولى: يشكّلون الأكثرية، وهم الذين خالفوا هذا الأمر الإلهيّ.

الفرقة الثانية: يشكّلون -على القاعدة- الأقلّية، وهم الذين قاموا تجاه الفريق الأوّل بوظيفة الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر.

الفرقة الثالثة: وهم الساكتون المحايدون، والذين لم يوافقوا العصاة، ولا قاموا بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وفي النهاية يشرح القرآن الحوار الذي دار بين العصاة، وبين الذين نَهوهم عن ارتكاب هذه المخالفة فيقول:

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا..﴾، فأجابهم الآمرون بالمعروف الناهون عن المنكر:

﴿..قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾، أي أنّنا ننهى عن المنكر لأنّنا نؤدّي واجبنا تجاه الله تعالى، وحتى لا نكون مسؤولين تجاهه، هذا مضافاً إلى أنّنا نأمل أن يؤثّر كلامنا في قلوبهم، ويكفّوا عن طغيانهم وتعنّتهم.

ولكنْ في المآل، غلبت عبادة الدنيا عليهم وتناسوا الأمر الإلهيّ، حينها أنجى اللهُ الذين كانوا ينهون عن المنكر، وعاقب الظالمين: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾.

ثمّ يوضح القرآن الكريم طبيعة العقوبة، بقوله سبحانه: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾.

التدرّج في العصيان

أمّا كيف بدأت هذه الجماعة عمليّة التجاوز على هذا القانون الإلهي، فقد وقع فيه كلام؛ ويستفاد من بعض الروايات:

١) أنّهم عمدوا في البداية إلى ما يسمّى بالحيلة الشرعية، فقد أحدثوا أحواضاً على الساحل، ولها أبواب مشرعة إلى البحر، فكانوا يفتحون هذه الأبواب في يوم السبت فتقع فيها أسماك كثيرة مع ورود الماء إليها، وعند الغروب حينما كانت الأسماك تريد العودة إلى البحر يوصدون الأبواب، فتُحبس الأسماك في تلك الأحواض، ثمّ يعمدون يوم الأحد إلى صيدها وأخذها من الأحواض، وكانوا يقولون: إنّ الله أمرنا أن لا نصيد السمك يومَ السبت، ونحن لم نصطد السمك إنّما حاصرناها فقط.

تتحدث الآيات عن جماعة من بني إسرائيل استوطنت ساحل أحد البحار

أمرهم الله تعالى، على سبيل الاختبار والامتحان، بالامتناع عن صيد الأسماك يوم السبت

ويقول البعض:

٢) إنّهم كانوا يُرسلون شباكهم في البحر يومَ السبت، ثمّ يسحبونها يوم الأحد وقد علقت بها الأسماك، وهكذا كانوا يصيدون السمك يوم السبت، ولكن بصورة ماكرة.

٣) ويظهر من بعض الروايات الأخرى أنّهم كانوا يصيدون السمك يوم السبت، من دون مبالاة بالنّهي الإلهي، وليس بواسطة أيّه حيلة.

ومن الممكن أن تكون هذه الأخبار صحيحة بأجمعها، وذلك أنّهم في البداية استخدموا ما يُسمّى بالحيلة الشرعية، وذلك بواسطة حفر أحواض إلى جانب البحر، أو إلقاء الشِّباك. ثمّ لمّا صغُرت هذه المعصية في نظرهم، جرّأهم ذلك على كسْر احترام يوم السبت وحُرمته بحسب شريعتهم، فأخذوا يصيدون السمك في يوم السبت تدريجاً وعَلناً، فاستحقّوا بذلك العذاب الإلهيّ.

عمدوا في البداية إلى ما يسمّى بالحيلة الشرعية، بأنْ أحدثوا أحواضاً على الساحل، ولها أبواب مشرعة إلى البحر

لمّا صغُرت المعصية في نظرهم، تجرّؤوا على كسْر حرمة يوم السبت بحسب شريعتهم

الذخيرة لسكرات الموت

يستهلّ المحدث الشيخ عباس القمّي كتابه (منازل الآخرة)، بالحديث عن الاحتضار أو «**سكرات الموت**»، باعتباره المنزل الأول في ارتحال الإنسان من دار الدنيا إلى الآخرة. وبعد أن يفصّل الكلام على شدائد هذا المنزل المهول، يورد مجموعة من الأعمال التي تهوّن على المؤمن سكرات الموت، استناداً إلى الأحاديث الشريفة عن المعصومين عليهم السلام، منها:

١ و٢) صِلة الرَّحِم وبرّ الوالدين.

٣) كسوة الأخ: عن الإمام الصادق عليه السلام: «**مَن كَسى أخاه كسوةَ شتاءٍ أو صيف، كان حقّاً على الله...أن يهوّن عليه سكراتِ الموت، وأن يوسّعَ عليه في قبره..**».

٤) إطعام الحلوى: عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «**مَن أطعمَ أخاه حلاوةً، أذهبَ اللهُ عنه مرارةَ الموت**».

٥و٦) قراءة سورتَي يس والصافات عند المحتضر.

٧) تلقين المحتضر كلمات الفرج: عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: «**إذا أدركتَ الرّجلَ عندَ النّزْعِ فلقِّنْهُ كلماتِ الفرَج: لا إلهَ إلّا اللهُ الحليمُ الكريم، لا إلهَ إلّا اللهُ العليُّ العظيم، سبحانَ اللهِ ربِّ السّماواتِ السّبعِ وربِّ الأرضينَ السَّبع، وما فيهنّ وما بينهنّ وما تحتهنّ، وربِّ العرشِ العظيم، والحمدُ للهِ ربِّ العالمين**».

(المصدر: ص ٢٣ – ٢٧)